سَجَدَتْ تُعَظِّمُ رَبَّها، فَتمايَلتْ،
لجلالها، أرْبابُنا العُظَماءُ[١]
يا عَبْلَ! مثلُ هَوَاكِ أوْ أضْعافُهُ
عندي، إذا وَقَعَ الإياسُ، رَجاءُ[٢]
إنْ كانَ يُسْعِدُني الزّمانُ، فإنّني
في هِمّتي، بصُرُوفِهِ، إزْرَاءُ[٣]

فلئت بقيت

قال في صباه:

[الكامل]

ما زِلْتُ مُرْتَقِياً إلى العَلْيَاءِ،
حتى بَلَغْتُ إلى ذُرَى الجَوْزَاءِ[٤]
فَهُناكَ، لا ألوي عَلى مَنْ لامني،
خَوْفَ المَمَاتِ وَفُرْقَةِ الأحْياءِ[٥]

(١) في هذا البيت روح إسلاميّة ممّا يُوحي بأنه منحول. إنها مؤمنة بإلٰه، لذا سجدت شكراً لخالقها، فإذا بالمخلوقين رغم عظمتهم يتمايلون إجلالاً لها وتعظيماً.

(٢) الإياس: فقد الأمل. يُطلّ في هذا البيت اسم المحبوبة، ويُخاطبها على أنها أمله في هذه الحياة ولن يتسرّب اليأس إلى قلبه رغم الموانع والمعضلات التي تحول دون رضاها عنه.

(٣) صروف الزمان: مصائبه، مفردها صرْف. الإزراء: الاحتقار. فكرة نضال الشاعر وقدرته على تخطّي الصعاب، أنه قادر بهمته وتصميمه على امتصاص صدمات الأزمات، لذا فإنه ينتظر أن يتبسم له الزمان ويحقّق له سعادته بقرب من يهوى.

(٤)، (٥) من طبيعة الشاعر الفخر بنفسه، وبما حقّقه في مجتمع لا يقدّر إلّا =

فَـلأُغْـضِـبـنّ عَـوَاذِلـي وحَـوَاسـدي؛
وَلأصْـبِـرَنّ عـلـى قِـلًـى وَجَـوَاءِ[١]
وَلأَجْـهَـدَنّ عَـلـى الـلّـقَـاءِ لـكَـي أرَى
مـا أرْتـجـيـهِ، أوْ يَـحـيـنَ قَـضَـائـي[٢]
ولأَحْـمِـيـنّ الـنّـفْـسَ عَـنْ شَـهَـوَاتـهـا،
حـتـى أرى ذا ذِمّـةٍ وَوَفَـاءِ[٣]

= القويّ؛ فالشاعر، رغم الصعاب والموانع، فقد استطاع، بفضل ما يتمتّع به من قدرات، أن ينهض إلى العلى فسما إلى النجم رغم حداثة سنه. والمهم أنه أدرك مناه في العلياء فلم يلتفت إلى المثبّطين الذين ألفوا الخنوع وركنوا أنفسهم في حفر الحياة الضيّقة مخافة الموت، والموت محتم، فلماذا يحرصون على الحياة؟ ولماذا يحرصون على مرافقة الأحياء ومآلهم إلى الموت المؤكّد؟

(١) القِلى: البغض. الجوى، بالقصر ومُدّ للشعر: الحرقة الناتجة إما عن شدّة الحزن أو الحبّ. ردّة فعل الشاعر على اللائمين والعاذلين والحاسدين أن يزيد حسراتهم وغيظهم ويزيد من حظوظه في بلوغه أعلى ما يتمنّاه في هذه الحياة؛ وهو متسلح بصبره العجيب رغم ما يبديه الأعداء من كيد ورغم ما يعانيه من شدّة الحب لمن يحبّ.

(٢) يرسم الشاعر خطّ حياته؛ مفاده المجابهة لا الخوف من اللقاء في ساحات الوغى؛ فهناك تتكشف الحقائق، ويُختبر المعدن الصلب ممّا يُمكن أن يكون مزوّراً، فمعادن الرجال تتجلّى في تحقيق ما يصبون إليه، وإلّا فالموت مدركهم ويطويهم الزمان.

(٣) وتقتضي المجابهة ومطالب العلى أن يبتعد المرء عن الانجرار وراء شهواته الآنية التي تثنيه عن المعالي؛ وفي هذه الحالة يُنظر إليه نظرة مثالية تتمثّل بالوفاء والإخلاص وحفظ الوعد الصادق وألّا يخفر ذمّة من يطلب الحماية وصون عِرضه.

مَـن كـان يـجـحـدنـي، فـقـد بـرحَ الـخـفـا،
مـا كـنـتُ أكـتُـمُـهُ عـنِ الـرُّقَـبـاءِ[١]
مـا سـاءَنـي لَـوْنـي وَإسْـمُ زَبـيـبَـةٍ،
إذا قـصّـرَتْ، عـن هـمّـتـي، أعـدائـي[٢]
فَـلـئـنْ بـقـيـتُ لأصْـنَـعَـنّ عـجَـائِـبـاً،
وَلأُبْـكِـمَـنّ بَـلاغَـةَ الـفُـصَـحَـاءِ[٣]

لون المسك

كانت العرب كثيراً ما تعيره بالسواد، فلما كثرت الأقاويل في ذلك أنشد في شرح حاله هذين البيتين:

[الوافر]

لَـئِـنْ أكُ أسْـوَداً، فـالـمِـسْـكُ لَـوْنـي،
وَمَـا لِـسَـوَادِ جِـلْـدي مِـنْ دَوَاءِ[٤]

(١) يجحدني: ينكرني، برح الخفاء: بدا للعيان ما كان مستوراً. ويبدو أن الشاعر يعرض لنا مشكلته الاجتماعية والإنسانية التي كان يخفي ما يُعانيه من جرّائها، فثمّة أب يُنكر بنُوّته، ويعتبره أحد عبيده، ونفسه في الأعماق ترفض واقعاً كهذا تدعوه إلى الثورة على قيم فاسدة، فقيمة المرء ما يُحسنه من عمل يقوم به، ولهذا استطاع أن يُظهر حقيقة أمره بما يبديه من شجاعة في ميادين القتال.

(٢) تتلخّص مشكلة الشاعر بلون أسود حالك وأمّ أعطته لونها، فضلاً عن عبوديتها، وضعف نفوس يتآكلها الحسد وضعف النفوس؛ فهم أعداء لا همّة لهم سوى الهمس واللمز، وقد يصل الأمر إلى الشتم.

(٣) يودّ الشاعر أن يضع بصماته على جبين الزمن يمسك بكلتا يديه بُشعلة النار المقدّسة إذا وافاه الحظ وامتدّت به فُسحة الزمن فلسوف يقوم بعظائم الأمور، حتى البلغاء سيسكتون ويبنون عن ضعف لبلاغته وحسن بيانه.

(٤) ردّ الفعل لدى الشاعر لتعيره بسواد لونه من بعض حاسديه حمله على =